مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

مفارقة الذات والموضوع وتجلياتها في الشعر النسوي الجزائري المعاصر: ديوان "النازفات عشقا" للشاعرة نوال اليتيم وديوان "تباريح النخل" للشاعرة هنية لالة رزيقة أنموذجا.

The Paradox Of The Self And Subjectif And Its Manifestations In Contemporary Algerian Feminist Poetry: Diwan « Alnazifati Ichkan » By "Nawal Alyatim" And «Tabarih Alnakl»By "Hnia Lala Razika" As A Model.

نورة حاج قويدر[1]، بشير مولاي لخضر [2]

1 -جامعة غرداية noura47hadj@gmail.com

2 -جامعة غرداية، مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري

تاريخ الاستلام: 2019-07-07 تاريخ القبول:2020-04-16

ملخص -

تعد التجربة الشعرية النسوية المعاصرة تجربة فريدة من نوعها في إطار الكتابات الأدبية، على اعتبار أنها حققت تميزها وأثبتت حضورها في الساحة الإبداعية، فقد سعت المرأة الشاعرة إلى كتابة ذاتها في سبيل الكشف عن هوّيتها الأنثوية المهمشة من جهة، ولمحاولة إثبات رؤيتها إزاء ما يحدث في واقعها ومحيطها من تغيرات من جهة أخرى، فنتج عن ذلك أنماط وأشكال شعرية مختلفة. بالإضافة إلى اعتمادها على أدوات وآليات فنية نجد في مقدمتها المفارقة التي استندت عليها كثيرًا بما يتوافر في هذه الأخيرة قدرة على رصد تلك التناقضات والتجاذبات القائمة بين الذات الأنثى وبين موضوعها. ولأجل ذلك سعينا في هذه الدراسة إلى الكشف عن تجليات المفارقة في إطار ثنائية الذات والموضوع، و في هذا المسعى العام انطلقنا من الإشكالية التالية: ما هي تمظهرات المفارقة من خلال ثنائية الذات والموضوع في التجربة الشعرية النسوية الجزائرية المعاصرة؟

المؤلف المرسل: نورة حاج قويدر : noura47hadj@gmail.com

الكلمات المفتاحية -

التجربة الشعرية، النسوية، المعاصرة، المفارقة، الذات، الموضوع.

Summary -

The Contemporary Feminist Poetic Experience Is A Unique Experience In The Framework Of Literary Literature, As It Achieved Its Distinction And Proved Its Presence In The Creative Arena. The Poetess Sought To Write Herself In Order To Reveal Her Lost Feminine Identity On The One Hand, And On The Other Try To Monitors Her Vision Of What Is Happening In Her Reality And Surroundings Changes, Resulting In Different Patterns And Forms Of Poetry. In Addition To Its Reliance On Technical Tools And Mechanisms, In The Forefront Of Which Is The Irony On Which It Was Based So Much, On Its Ability To Monitor These Contradictions And Conflicts Between The Female Self And Its Subject. To This End, We Sought To Reveal The Manifestations Of The Paradox In The Framework Of Dualism And Subject Matter. In Light Of This Goal, We Started From The Following Problem: What Are The Manifestations Of The Paradox Through The Dualism Of The Subject And The Subject In The Contemporary Algerian Feminist Poetry Experiment?

Keywords -

Poetic Experience, Femininity, Contemporary, Irony, Self, Subject.

توطئة:

تعدُّ العلاقة بين الذات الشاعرة وموضوعها علاقةً يجسدها التواصل المستمر بين تلك الذات المبدعة ومجتمعها، في ضوء ذلك التفاعل الذي يفرض اندماج وانصهار الشاعر في بوتقة الجماعة، ليفضي ذلك كله - و بشكل قسري أحيانا – إلى انعكاس صورة العالم الخارجي في تلك الذات؛ لكن بمراعاة أنّ ذلك يحدث وفق معطيات التجربة الشعرية وخصوصيتها، فالذات لا تكتفي بمحاكاة العالم كما هو إنما تستحضره وفق قوانينها الخاصة. وفي ضوء هذا التقابل بين العالم الداخلي للذات والعالم الخارجي سوف نحاول الكشف عن

صور تفاعل الذات بالموضوع انطلاقا من آلية المفارقة التي اعتمدت عليها الشاعرات –نماذج هذه الدراسة - ليُجسدن من خلالها تلك التناقضات القائمة بين الذات والموضوع.

أولاً: في مفاهيم المفارقة و ثنائية الذات والموضوع

لابد لنا في نطاق هذه الدراسة أن نحدد ابتداء دلالة المفارقة في جانبها اللغوي والاصطلاحي، ثم نتعرف على مفهومي كل من الذات والموضوع، حتى نتمكن من ضبط تلك العلاقة وتمثل صور التفاعل بينهما، في ضوء ذلك الجدل المستمر بين الذات وموضوعها.

1/**مفهوم المفارقة:**

1.1/المفارقة لغة:حول المعنى اللغوي لهذه الكلمة نقرأ في تضاعيف بعض المعاجم ما نصه: "المفارقة اسم مفعول لـ(فارقَ)، من الجذر الثلاثي (فَرَقَ)، ومصدرها (فرْق) بتسكين الراء، والفرق خلاف الجمع، وهو تفريق بين شيئين، و(الفِرقُ): الفلْقُ من الشيء إذا انفلق منه، ومنه قوله تعالى:" فانْفَلَقَ فكان كل فرق كالطود العظيم." [1]

أما في الصحاح فنجد مادة فرق بمعنى:" فرقتُ بين الشيئين أفرقُ فَرقاً وفرقاناً وفرَّقتُ الشيء تفريقاً وتفرقةً، فانفرق وافترق وتفرَّقَ وأخذت حقي منه بالتفاريق. والفرْقُ: مكيال معروف بالمدينة، والفرقان: القرآن، وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان. والفاروق: اسم سمي به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والمفرِقُ والمفرَقُ: وسط الرأس، وهو الذي يفرق فيه الشعر." [2]

أما معجم الوسيط فجاءت "(فَرَقَ)بين شيئين فَرقاً وفرقاناً: فصل وميّز أحدهما عن الآخر.(فَرِقَ) فرقاً: جزع واشتد خوفه، و(أفرق) العليل: برأ و(فارقه) مفارقةً وفراقاً: باعده و(افترق) القوم: فارَقَ بعضهم بعضاً، (انفَرَقَ) الشيء: افترقَ وانشق ويقال: انفرق الصبح: انفلق و(الفرْقُ) بين الأمرين: المميِّز أحدهما عن

[1] -ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2005)، مادة (فَرَقَ)

[2] -إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، مادة (فَرَقَ).

الآخر."[1] من خلال تتبعنا لمختلف المعاجم قديمها وحديثها، وجدنا أنها تتفق على صفة الفرق والافتراق والتباعد والتباين والفصل والتمييز بين الشيئين أو أمرين أو موقفين لاسيما إذا كان هذان الأمران على طرفي نقيض.

1.2/المفارقة اصطلاحا: يعتبر مفهوم المفارقة مفهوما حياً تتجاذبه مجالات مختلفة، فالفيلسوف يرى فيها ذلك النموذج من نماذج الوعي، والاجتماعي يجد فيها مظهراً من مظاهر العلاقات الاجتماعية...لذلك يمكننا القول: إن المفارقة مفهوم ملاصق لأي نشاط فكري إبداعي يصدر عن الإنسان، فهذا الأخير ما إن أدرك أنه يعيش ضمن حقل من المفارقات حتى توالت تعريفاته لها.

بالعودة - على سبيل الاختصار - إلى معجم (أكسفورد المختصر)، نقف على تعريفه للمفارقة بأنها "إمّا أن يعبر المرء عن معناه بلغة توحي بما يناقض هذا المعنى أو يخالفه، ولاسيما بأن يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الآخر، إذ يستخدم لهجة تدل على المدح ولكن بقصد السخرية أو التهكم؛ وإما هي حدوث حدث أو ظرف مرغوب فيه ولكن في وقت غير مناسب البتة كما لو كان في حدوثه في ذلك الوقت سخرية من فكرة ملاءمة الأشياء؛ وإما هي استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى باطناً موجهاً لجمهور خاص مميز، ومعنى آخر ظاهراً موجهاً للأشخاص المخاطبين أو المعنيين بالقول."[2] ومنه فالمفارقة هي آلية تمنح النص الأدبي ازدواجية التأويل، فيطالعنا المستوى السطحي الذي يكون في غالب الأحيان مناقضا للمعنى في مستواه العميق.

2/ثنائية الذات والموضوع:

لقد طرحت إشكالية (ذات/ موضوع) تلك الثنائية المتداخلة في إطار نظريات عملية الخلق الفني، فهناك من يفصل بينهما، لكن معظم الدارسين متفقون على الجمع بينهما على اعتبار أن "عملية الخلق الفني عملية امتزاج كامل بين

---

[1] -مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4(2004)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، مادة (فَرَقَ).

[2] -خالد سليمان، المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمان، ط1(1999)، ص:14.

الذات والموضوع، وأن الموضوع هو في أصله شيء خارج عن الذات، يصبح بعد التجربة الفنية مثل قطعة السكر التي تذوب في كوب الماء فتبقى فيه...كذلك هو الحال في الموضوع أو الفكرة التي يصورها الأديب سوف تختفي هي الأخرى وتصبح بكاملها صورة أو عملا فنيا، و يصبح من المستحيل بعدها فصل الموضوع أو إعطاؤه قيمة بدون الصورة التي ترمز إليه والتي خلقها الفنان من ذاته"[1]، فأصحاب هذا الاتجاه يؤكدون على حدوث عملية التفاعل بين الذات وموضوعها؛ بل إن الموضوع ينصهر في الذات المبدعة ويتشكل حسب خصائصها حتى يفقد معها القدرة على التفرد لأنها تعمل على إعادة خلقه وفق ما تقتضيه قوانينها وشروطها الخاصة.

كما يؤكد بعض النقاد على أن الأجناس الأدبية في عمومها عبارة عن أشكال ذاتية؛ لكن ما يملكه ذلك الأديب أو المبدع من بعد معرفي أو علمي يتجه به نحو موضوع ما، و ما دامت تلك الذات في رحلة مع المعرفة فإنها تتجه نحو موضوعها وتحاول الاندماج فيه، وبالتالي فهي تحاول أن تتموضع.[2]

وهناك طائفة أخرى من الباحثين ترى أنّ الذات الشاعرة قد تنفصم عن الآخر "من خلال غياب الآخر الإنساني وواقعه عن عالم الذات الإبداعي غياباً يؤكد من ناحية قيام هذه التجربة الانفصامية في وعي الذات، ويحيل تجربة الذات الإبداعية ناحية ثانية تجربة قطيعة مع الآخر، أو تجربة تجاوز له."[3] فرفض الذات للآخر أو لموضوع ما هو إعلان غير مباشر عن تحررها وخروجها من براكينه، حيث تتجاوزه معلنة تمردها ونفورها لكي تجسد مواقفها استناداً على تجربتها الذاتية الإبداعية الخاصة، "فالذات الشاعرة ظلت تتحول عن الخارج إلى الداخل، عن الخارج بوصفه عالم الرؤية والوضوح والتحديد إلى الداخل بوصفه

---

[1] - محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، (د ر ط)، (د ت ط)، ص: 37.

[2] -ينظر: صباح السويفان، دراسة: جدلية الذات والموضوع في شعر سعاد الصباح، الموقع الالكتروني:www.alraimedia .com.

[3] - عبد الواسع الحميري، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط:1(1999)، لبنان، ص: 75.

عالم الرؤيا والغموض واللاتحديد ومن ثم عن العالم المرئي المعلوم في الخارج إلى العالم اللامرئي المجهول في الداخل."[1] وهو ما دعا بعض الشاعرات إلى استخدام بعض الأدوات والوسائل منها: الرمز والإشارة والتناص والمفارقة، لكي يمنحن تجاربهن تفردا وخصوصية فتشخص"... التجربة الكتابية للمرأة المبدعة، حاملة في ثنايا ذلك مرايا التلون على أكثر من أسلوب ودلالة، نتيجة طبيعة الحساسية النسائية، فيتشكل المعنى في بنية نصوصها مخاتلا وفاتحا أمام القارئ تأويلات لا متناهية."[2] ويكون هذا الاشتغال بدءًا من العتبة الأولى في قصائدهن متمثلاً في بنية العنوان الذي يعكسه ذلك الطابع الترميزي المفارقي، لأنه ينشطر من متن القصيدة، فيتلون بألوانها ويتشكل وفقاً لمكوناتها الغامضة والمبهمة.

ثانيا: تجليات المفارقة من خلال ثنائية الذات والموضوع في التجربة النسوية الجزائرية المعاصرة:

1/المفارقة من خلال جدل الذات والحب والحزن:

1.1/مفارقة الذات والحب:

يعد موضوع الحب من أبرز المواضيع التي نجد لها حضورا قويا في التجربة الشعرية النسوية المعاصرة، حيث تنعكس من خلالها تلك العلاقة الأزلية بين حواء و آدمها (المرأة/ الرجل)، فتصور خيبتها ونجحها في هذا المشهد الذي يعج بجمِ من المفارقات التي لا حدود لها، فهي بؤرة رئيسة تحفل بالتضاد و التناقضات.

❖تقول الشاعرة نوال اليتيم في قصيدة "عيد بلا حب": [المتقارب]

(مضى الآن عام/ على أول الغيث/ حين التقت نخلة..بالسماء/مضى الآن أول عيد/لأطهر قبله❖❖❖/مضى الآن شوق على سجدة القلب في معبد الحب/ ما كنت أعرف شيئا عن الحب قبله❖❖)[3]

---

[1] -عبد الواسع الحميري، المرجع السابق، ص: 79.

[2] -رزيقة بوشلقية، التشكيل الفني في الشعر النسائي الجزائري المعاصر، ميم للنشر، ط:1(2015)، ص:76.

[3] -نوال اليتيم، ديوان" والنازفات عشقا"، مطبعة الرمال، الوادي/الجزائر، 2017، ص: 40.

فالشاعرة هنا تصور مسار تلك العلاقة، حيث كانت بدايتها مبشرة تنم عن محبة قوية بين الطرفين، إلى مدى تجلّى فيه ذلك الحب أسطوريا يحفه التقديس، حيث كانت قبلة ذلك العاشق ومعبده. وهي تستخدم في قصيدتها هذه الرمز كأداة لتورِّي بها عن ذاتها حين رمزت للرجل بالسماء و لذاتها بالنخلة، وهنا يتبين لنا مدى الارتباط الشديد بين الطرفين: فقد تمثلت الشاعرة ذاتها واحتياجها للطرف الآخر(الرجل) تماما مثل احتياج النخلة للماء. إذ المسألة على صعيد تلك الأبيات لا تتوقف عند حدود تتفرد فيها السماء بالعلوّ والنخلة بالدنوّ، فهذا أمر مألوف ولا سبيل إلى إنكاره فيزيائيا والشاعرة لا تعتبره مركزيا في خطابها؛ لكن المسألة تُطرح من جانب آخر يتعمق معه حضور المفارقة، من خلال ذلك التقارب الشديد بينهما، إذ حاجة النخلة إلى الماء حاجة بيولوجية، ليس فيها مجال للترف والتكلف، وإعلانها عن تلك الحاجة إقرار بالحقيقة وهو مجانس لطبيعة الأشياء ولم يكن كذباً أو ادعاءً، فقد تبدى موقف الشاعرة مثل موقف النخلة تماما. فإذا كانت حاجة النخلة للماء ضمان لحياتها واستمراريتها، كذلك هي حاجة المرأة للحب فبه ضمان حياتها وبقائها، ومن ثَمّ فهي لم تكن تمارس الزيف والخداع كما مارسته السّماء في تنكرها وخذلانها إياها في طور لاحقٍ.

فالمفارقة على المستوى العام تتجسد في التغيير الذي أصاب مسار هذه العلاقة، إذ كان المرجّح أن تعرف العلاقة نهاية سعيدة وناجحة مثل بدايتها وتُكلل بالارتباط خصوصا في ظل تلك المؤشرات التي كانت تحيل عليها إذ تقول:

(مضى..!!/كنت آيته المشتهاة/وكنت اشتياق السعاة/وحبل النجاة/وكنت انتماءه/كنت الحياة/ وقال:"نسيت اتجاه الصلاة /وملت إليك أصلي) [1]

فالذي يعمق المأساة في واقع النص ويصنع الفجوة أو مسافة التوتر – بتعبير كمال أبي ديب - مصدره ذلك الانحراف المفاجئ الذي تكرسه(القبلة / المصلى)، إذ يفترض أن ذلك الحب بلغ مرحلة من القوّة والصِّدق والصّفاء

[1] -نوال اليتيم، المصدر السابق، ص:40.

والسّمو، تتنزه عن أي مظهر للنفاق والتضليل، لأن المحب بات ملتحما بمحبوبه وكأنهما ذات واحدة، و الأبعد أن المحبوبة ملأت عليه وجدانه فشغلته عن كل شيء وأذهلته عن كل شأن، بل إنه نسي اتجاه الصّلاة وصارت هي قبلته فتهيأ لها من القداسة في أعماقه ما لا يبذل سوى للعقيدة الراسخة. وهذا مشهد آخر من التمثيل والتشبيه استخدمت فيه الشاعرة البعد العقدي، إشارة منها إلى مدى التوافق والانسجام في بداية هذه العلاقة حتى لا يتوقع معها وبأي شكل من الأشكال الغدر والخداع والزيف؛ لكن ما حدث في النهاية من شأنه أن يتسبب في إصابة القارئ بالصدمة والدهشة وهو غاية ما تسعى إلى تحقيقه المفارقة في تأثيرها على المتلقي. حيث تقول الشاعرة في نهاية القصيدة:

(لماذا هو الآن يصبا/يلبس قلب الجناة/ ويستل سيف الرحيل/ الذي لا أطيق/ويقطع حبله؟!. [1])

وفي أفق آخر لهذه القصيدة نجد الشاعرة قد طرحت تجربتها تلك لكي تلفت الأنظار إلى ما هو جوهري في العلاقات الإنسانية، حيث صورت معاناتها مع الطرف الآخر(الرجل) خصوصا في ظل ضياع القيم والمبادئ وتنكر الآخر وغدره. وهو ما يشير إليه مجيء الرمز (نخلة) نكرة لتأخذ معها التجربة طابع العموم، وتشمل معها تجربة كل النساء ومعاناتهن مع الحب والعشق. بينما نجد الرمز(السماء) جاء معرفاً بالقياس إلى نخلة، وذلك لمعرفتهن بذلك الجاني ووضوحه في أذهانهن وهيمنته في ظل ذلك المجتمع الذكوري، في مقابل التهميش الذي يطال الهويّة الأنثوية على مدار الدهور و الأزمان. وقد يتقرر على مستوى الجدل بين الذات والموضوع في هذا السياق، أن نقرر بأن حالة الالتحام الأولية لم تكن محصورة في نطاق: الذات / الشاعرة وموضوعها (الرجل/ المحبوب) بل إنها تنتظم ثلاثة أطراف: الذات والحب والمحبوب:

ويحدث أن يتماهى الحب في المحبوب فإذا هما شيء واحد: الحب = المحبوب. ولكن تلك الذات حين تُمنى بالخيبة لاحقاً لا توجه استنكارها أو نكوصها عن

[1] -المصدر نفسه، ص:41.

الحب كقيمة؛ ولكنها تنفض يدها من مدعيه من منطلق حالة الكمال للقيم في مثاليتها وتجردها و حالة القصور عن تمثيله في واقع بعض الأفراد

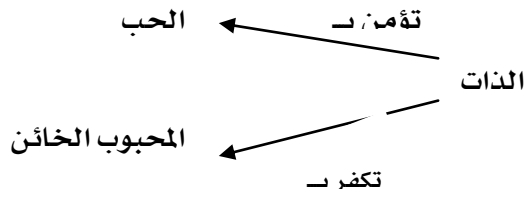

وفي هذه الحالة ينفصم الحب كقيمة عن المحبوب كفرد أو موضوع لتلك العاطفة: الحب # المحبوب.

2.1/مفارقة الذات والحب والحزن:

في نموذج آخر نجد أن الشاعرة "هنية لالة رزيقة" في قصيدتها "تراتيل لزمن الموت"، تربط بين الحب والحزن، فكلاهما يعتبر من العواطف الوجدانية التي تتصل بالذات أيما اتصال، فالتجربة النسوية المعاصرة تعيش حالة الحب الذي يكتنفه الحزن من كل جوانبه، ذلك لأن الشعور بالحزن هو انعكاس تجارب الذات الأنثوية مع العالم الآخر، سواء مارست ذلك التفاعل مع الحب أو الغربة أو الموت ...الخ من العوامل التي تكون خارجة عن الذات، فيكون الحزن نتيجة حتمية تعترض الذات النسوية الشاعرة عند اصطدامها بما هو خارج عنها. ويكون الحب في طليعة تلك العناصر التي تسبب بدورها حزنا وألما للذات النسوية "فالحب بالنسبة للشاعر المعاصر إنما هو جرعة لتخدير الذات، وإنه موضوع تشغل الذات به نفسها حتى تترسب أحزانها في القاع."[1]

فقد تجلّى الحزن بمثابة الظاهرة التي لازمت حواء/الشاعرة على مدار الأزمنة والعصور وانعكست في كتاباتها وقصائدها. تقول الشاعرة في قصيدتها تلك:[**البسيط**]

[1] -عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط:3، دار الفكر العربي، ص: 370.

سحابة الموت قــدت من شراييني ... من ذا يحاكيك كحلا فاح من طيـن
عرابة الحب قد بـــاعت مواجعها ... لـدمـع أزمـنـة شُـدَّت بداســين
والشمس جافت بهذي الأرض سنبلة ... كي تجهض الآه عطراً من رياحين [1]

إنّ خيوط المفارقة تتشكل منذ العتبة الأولى في هذه القصيدة، فالعنوان يوحي بوجود تناقض قائم في سياق هذا العنوان، حيث أحالت كلمة (زمن) على وجود انزياح على المستوى التركيبي، فلو قالت الشاعرة "تراتيل الموت" لما كان هناك مجال لمفارقة تُذكر؛ لكن وجود مثل هذه الكلمة قلب الموازين وكثّف من حضور المفارقة على اعتبار أنّ كلمة [زمن] تدل على الاستشراف والاستباق لواقعة لم تحدث بعد، فالمتداول أن التراتيل تكون بعد الموت وليس قبله.

كما اعتمدت الشاعرة في الأبيات السابقة على بعض الصور البلاغية وفي مقدمتها التشبيه البليغ من باب إضافة لفظ المشبه إلى المشبه به مثل "سحابة الموت"، والكناية عن موصوف "عرّابة الحب"، فقد أسهمت كلتاهما في تصوير حالة الحزن التي كانت تعيشها، فالحزن قد غشي كون الشاعرة فأصبحت في عداد الأموات وإن كانت ما تزال على قيد الحياة، وهو ما يوحي به ذلك الاستشراف للموت في عنوان القصيدة.

وقد ربطت ذلك الحزن بالحب الذي كان المصدر الأول لحزنها وتعاستها في هذه الحياة. كما ساعدت الاستعارة في الرفع من حدَّة المفارقة وعمَّقت من حجم المعاناة والمأساة، فقد شبّهت الشاعرة الشّمس بالإنسان حين يموت وتنتن جثته: "جيفة"؛ وبالمرأة الولود، فحذف المشبه به وتركت بعض لوازمه وهي: "جافت" و" تجهض"، فجاءت على سبيل الاستعارة المكنية؛ لكن ما زاد من وقع المفارقة حين جهضت تلك الشمس الآه -وهي الأنات الواهية التي يصدرها المحزون المتألم -. فالمفارقة تحققت حين جعلت من عطر الرياحين ثمارا لذلك الحزن، فكيف يكون العطر والريحان ثمرة للحزن والألم، وأثرا من آثاره؟ في حين أنّ كليهما يُستخدم في مواقف الفرح والسرور والغبطة؛ لكن الشاعرة تعمدت ذلك الربط بين الأشياء -التي من شأنها أن تدل على معالم الفرح -

[1] -هنية لالة رزيقة، ديوان تباريح النخل، مطبعة مزوار، الوادي/الجزائر، ط:1(2010)، ص: 39.

بنقائضها الدالة على الحزن والألم، ففي عالم الحب المحفوف بالأحزان تفقد الأشياء دلالاتها، و تتساوى الأضداد وتتآلف لتغدو شيئا واحدا.

ففي هذا النموذج تتردد نبرة آسية حزينة، تكشف عن طبيعة الجدل القائم بين الذات وموضوعها، إنها حالة القهر التي يكرسها موقع التنازع بين الرغبة في الشيء والعجز عن إدراكه والمحافظة عليه في حال حيازته، بحيث تصبح الذات مجرد امتداد للواقع المادي الخارجي، بعتوه وتعاليه طالما أنها بوصفها كيانا لا تتأهل أن تمارس تأثيرا إلا في ضوء ما يتوافر لها من إمكانات، فلا تملك إلا الاندحار في صورة التضحية والانقسام.

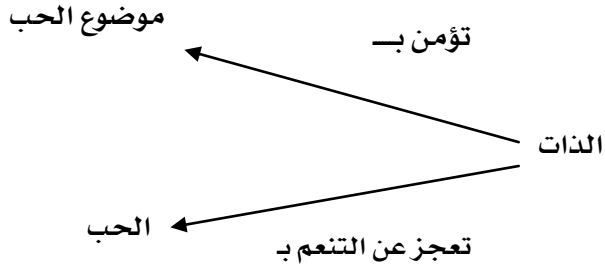

2/مفارقة الذات والموت:

لا يختلف موضوع الموت كثيراً عن الحزن، إذ نجد التجربة الشعرية النسوية تستحضر موضوع الموت ضمن دائرة اهتماماتها، فعلاقة الذات الأنثوية بالموت هي علاقة يكتنفها الغموض والالتباس، وذلك من خلال استخدامها لكلمات أخرى تكون بديلا عن ذكرها المباشر لكلمة الموت.

ومن جملة النماذج التي رشحناها في هذا السياق نذكر قصيدة "لا أحبُّ الآفلين" للشاعرة نوال اليتيم، التي تقول فيها: [الكامل]

"لا وقت عندي لاشتياق الغائبين
ولا أحبُّ الآفليـــــــن
ما عدت أومـــن باليقين
الموت يـــــفعلها مـــرارا
ثم يتركني وحيدا في العـــراء" [1]

[1] -نوال اليتيم، المصدر السابق، ص:42.

فقد استندت الشاعرة في هذه الأبيات على تقنية التناص، فالعنوان يحيل بشكل مباشر على الآية الكريمة التي يقول فيها المولى عز وجل:"**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**" [الأنعام، الآية 76.]

فقد أخذت الشاعرة من هذه الآية الكريمة ما تدلل به عن موقفها الذي تبنته في حق هؤلاء الذين يتخطفهم الموت فيأفلون عن هذه الحياة دون سابق إنذار وذلك بتصريحها الذي يفصح عن عدم الاكتراث لهم و الاهتمام بهم، ولذلك لا نجد في العنوان أي أثر يُذكر للمفارقة؛ لكن ما يعمق المفارقة فيما بعد هو متن القصيدة حين استعاضت الشاعرة عن ذلك الشعور الذي ينتاب المرء وقد فقَدَ شخصاً عزيزاً عليه، فتظهر عليه ملامح الحزن والبكاء...الخ بموقف غير مألوف يلخص تجربتها مع الموت وذلك لتعودها واعتيادها عليه؛ بل وتعلن مواجهتها لتلك المشاعر على اعتبار أن الموت سوف يطال كل الأحياء، وتبعا: فمن الظلم الذي نسلطه على أنفسنا أن نتفجع على أشخاص نعرف مسبقاً مصيرهم. لنلحظ هذا التعالق بين القصيدة و قصيدة أبي العلاء المعري، التي يقول فيها: [الخفيف]

غير مجد، في ملتي واعتقادي نوح بـاكٍ، ولا ترنم شـادِ

وشبيه صوت النعي، إذا قيـ س بصوت البشير في كل نادِ[1]

فأبو العلاء في هذه الأبيات يوازي بين الأضداد، مع أن لكل ضد خصائصه وطبيعته التي تستقل في جوهرها عن الطرف الآخر؛ لكنه وبمنطق ما نجده يجمع ويؤلف بينها، ليصبح:

نوح الباكي = ترنم شادٍ، وبالتالي فهو يوازي وفق الإطار نفسه بين: الحياة والموت.

ومن منظور آخر يشير أبو العلاء إلى حقيقة مفادها أن ما يميز الإنسان ليس الحياة بل الموت، و يؤكد على هذه الفرضية في البيت الثاني، حين يربط صوت النعي بصوت البشير الذي يخبرنا بالميلاد، فهما متشابهان من منطلق حتمية وقوع الموت، ومن منطلق المعرفة المسبقة بمصير الإنسان ألا وهو الفناء،

[1] -أبو العلاء المعري، سقط الزند، دار بيزوت، دار صادر، 1957، ص: 07.

فما فائدة البكاء والحزن إذاً!!. وضمن الأفق نفسه تطرح الشاعرة "نوال اليتيم" هذا التصور من خلال استحضارها لتجربة أبي العلاء المعري ذاتها، حيث تقول: [الكامل]

"راحوا
وقد تركـــــــــــــوا البقاء
لا وقت عنـــــــدي لاشتـــياقهم
فهذا النبض مشغـــــول بتشكيل
التفاصيل الجريئة لالتقاط الفرح
ألوانا لنبض الماكثين
لا وقت عندي للحداد
لن يعلن القلب الحداد
ولن أقيم لهم عزاء
أنا لا أحب الآفلين." [1]

فنلاحظ أن الشاعرة اعتمدت في صياغة مفارقاتها على تقنية التناص، فقد ساعدت الآية الكريمة ونص أبي العلاء المعري في تشكيل موقف الشاعرة من موضوع الموت؛ حيث نلمس ذلك الإدراك المتجاوز للحقائق في جواهرها العميقة، بعيدا عن موقف المتابعة النمطي في التلقي والفهم، وهذه الرؤية تجسدها الشاعرة من خلال تأكيدها على فكرة العناية والانشغال بما يسحق ذكرى الموت ويطردها، وذلك بأن تبحث في واقعها عن أشياء تبعث على الفرح تملأ بها مساحة يزحف نحوها الحزن، وبأن تتعالى عن طقوس لا تغير من الواقع ولا ترد الغائبين إلى الحياة. ومع كل ما سبق فقد يسوغ في نطاق مقاربة هذا الجدل بين الذات والموضوع أن نتساءل عن بواعث الشاعرة في هذا الموقف وطبيعته؟.

ولعل أوّل ما يتبادر هنا إنّما أن نسجل بأن هذا الموقف من الذات هو موقف قسري لا اختياري ولا مبدئي من حيث أن ما يحذوها على رفض بذل الحب للهالكين والتعلق بهم إنّما هو يقينها بأنهم سيرحلون ليخلفوا من ورائهم

[1] - نوال اليتيم، المصدر السابق، ص: 43.

الحسرات والأحزان؛ ومن ثم فإن الأجدر أن توصد كل الأبواب فلا يعلقوا منها بعاطفة، ولا يتهيأ لهم في نفسها موقع أو أثر، لأجل ذلك فإن الذات هنا من حيث علاقتها بالموت والهالكين تتجلى مدركة لحقيقة الموت وتبعاته، وهي من حيث طبيعتها مجبولة على الحب ولكنها تتعالى عليه بالنظر إلى ما يخلفه:

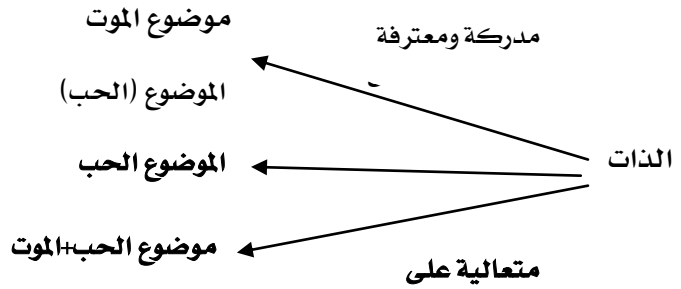

3/مفارقة الذات والوطن:

من بين المواضيع التي أخذت حيزاً في كتابات هؤلاء الشاعرات موضوع الوطن، وذلك لأن الوطن يأتي في المرتبة الثانية في تعزيز انتماءهن بعد ذواتهن، فالوطن يمنح الشاعر قيمة مضافة تعزز من حضوره وتحفظ كرامته كفرد وإنسان له حقيقته وهوّيته وكيانه. وانطلاقا من هذه الجدلية (الذات/الوطن) سوف نسلط الضوء على الذات الجماعية متجاوزين في ذلك الذات الفردية، التي يخف وطؤها في مثل هذه المواضيع، بينما تأتي الذات الجماعية لكي تعبر عن ذلك الارتباط مع ما هو خارج عنها ويكون في مقدمته الوطن بكل تفاصيله وتجلياته. ومن جملة النماذج التي اخترناها لهذه الدراسة ما توفّر على تقنية المفارقة، كأداة تستخدمها الشاعرات لتبرزن مدى التناقضات التي تحملها الذات الجماعية تجاه الوطن. وفق هذا التجلّي اخترنا قصيدة بعنوان "وطن أنا" للشاعرة آمنة حامدي التي تقول فيها: [الكامل]

وطنٌ أنـا وجع القصـيد يلفني ... ميتٌ أعـيش بغـربة الأشـياء
يحيا العدوّ على ضفاف مواجعي ... ضيما ويغرف من بحور دمـائي
يا كاتب التـاريخ سجـل شاهدا ... في كل نبض صـرخة لـفدائي [1]

[1] -آمنة حامدي، تفاصيل وجدي، مقامات، أدرار/الجزائر، ط1:(2011)، ص:55.

نلاحظ من خلال هذه الأبيات ذلك التلاحم والترابط الشديد بين ذات الشاعرة والوطن، حيث يبرز ذلك الترابط منذ العتبة الأولى للقصيدة "وطن أنا"، فالشاعرة قد استخدمت ضمير المتكلم "أنا" لتتحدث عن آلامها ووجعها انطلاقاً من وطنها فدمجت بين العنصرين لتشكل لنا ذاتا واحدة ملتحمة من خلال استخدمها لكلمات دلّت على ذلك مثل: "يلفني، أعيش، ضفاف مواجعي، بحور دمائي،.."، فقد تقمصت ذلك الوطن وتكلمت باسمه محدثة الآخر عن ما تحس به لأن آلام وطنها هي آلامها ومواجعه هي مواجعها، فكانت الذات في حالة اتصال مع الوطن؛ لكن ما يحدث المفارقة والتناقض على مستوى هذه القصيدة سيتجلى عندما تتغير تلك النبرة التي كانت في بداية القصيدة، والتي كنا نلمس من خلالها ذلك الحس الوطني الثوري لدى الشاعرة، فيتغير ذلك الخطاب ويستبدل بخطاب آخر مخالف تماماً لما عهدناه سابقا إذ تقول:

(أنا غارق في صبوتي/في غمرة الأفراح/فلكم عزفت هنا على/وتر الحبور بغبطة ألحاني/أنا لم أذق طعم الجراح/لكي أبث مواجعي.../وأعاني/وأنا أفتش عن شهيدٍ/عن طريدٍ../ذاق ويلات المحنْ❖❖❖في أمتي صرخات طفل../ها..هناك تفطرت/منها الجبال../ولم تهز كياني!../هي ثورة صرخاته/طفل غدا../وطن بعينه يعيش وحزنه/أبكى جمادات..وما أبكاني!/أنا مبحر في صمته/ ميتٌ ولكن..لا ضريح ولا كفن./متفرد في قسوتي/ميتٌ وجرح القدس/قد أحياني/كل الشعوب اليوم../أعيتها جراحات الأسى/وأنا هنا صمتي الذي أعياني[1])

فنلاحظ أن هناك تحوّلا قد مس ذلك الجانب الوجداني من ذات الشاعرة، حيث تغيرت نبرة الخطاب من خطاب نلمس فيه ذلك الخوف على الوطن والشعور بآلام شعبه وما يعيشونه من جراحات ومآسي إلى عدم اكتراث ولامبالاة، بل الأدهى أن ذلك الوطن على لسان تلك الذات يسرد لنا فرحته وغبطته بصرخات هؤلاء الأطفال وآلامهم، فالمستوى السطحي هنا يكرس ذلك التجاهل القائم على صعيد الذات وعدم اهتمامها لما يحدث حولها من فجائع

[1] -آمنة حامدي، المصدر السابق، ص: 58، 59 .

ومصائب، أبكت حتى الجمادات فكيف بالأحياء ذوي القلوب والمشاعر؛ لكن في الطرف الآخر تتشكل الرؤية وتتضح حين نتجاوز المستوى السطحي إلى المستوى العميق لهذه المفارقة، فيتبدى لنا ذلك الجهد الذي تبذله الشاعرة في سبيل البحث عن ذلك الجانب الإنساني في وطنها، الذي غيّبه صمت أفراد الشعب، وخضوعهم واستسلامهم لعدوّهم الذي يتربص بهم، فالشاعرة تعيش حالة من الاغتراب والتشتت في هذا الوطن، الذي تنكر لقيمه ومبادئه القومية والوطنية، والمفارقة أن تاريخ هذا الشعب يعج بالانتصارات والتضحيات والمفاخر، من أجل ذلك نجدها تعود للتاريخ لكي تستعيد ذكريات هؤلاء الأبطال إذ تقول: [الكامل]

(إني أعدت قراءة التاريخ في صحو/وتاريخ الجزائر هزّني/ وطني رجال أقسموا/"بالنازلات الماحقاتِ"/تفجرت أشجاني/ولذاك قد فتشت../عن ألم وعن حجر/وعن أرض تحرر بالدما/فتشت عن../في أمتي/ وطن هنا/لم يختلف في حبه /رغم الشجون اثنان/وأنا الذي في غربتي/صدر الضنى ما ضمني/ما باله؟!/هو كلما زرع أسى/في قلب كل معذبٍ../ينساني/فأنا أفتش عن ضمير/عن رصيف الحزن/عن قلب سُجِنْ. [1])

فمن خلال هذه الأبيات، ينعكس موقف الذات من الوطن، فالشاعرة تعيش حالة اغتراب في كنف هذا الوطن الذي باع ضميره للأعداء وخان العهد، فهي في حالة انفصال واصطدام مع وطنها "الحاضر"، وفي المقابل هي في حالة تصالح واتصال مع وطنها "الماضي"، الذي ذاق الويلات لكنه حقق الانتصار وأثبت حضوره ووجوده في صفحات التاريخ، فكأني بها تقول: إن لا تاريخ لوطن استكان أهله واستسلموا لحالهم ورضوا بواقعهم وبالظلم المسلط عليهم. لأجل ذلك هي تعود في كل مرة إلى ماضيها لكي تستمدّ منه مجدها وعزتها إذ تقول:[الكامل]

في أمتي يقف الزمان وأهله	...	**والشعر والتاريخ والشهداء**
فتذكري يا أمتي رغم الأسى	...	**أنا درّة جادت بها الصحراء**
لأقول حب الجزائر جهرة	...	**إن الجزائر قبلة وسماء [2]**

[1] -آمنة حامدي، المصدر السابق، ص:60،61.

[2] -آمنة حامدي، المرجع نفسه، ص: 61.

خاتمة:

من خلال ما سبق، يمكننا القول إن البحث عن موضوع الذات وعلاقتها بالعالم الخارجي، من القضايا المعرفية التي تجاذبتها جملة من المجالات والعلوم وعلى رأسها الفلسفة، فهي تشكل موضوعها الأساس ثم علم النفس والدراسات السيكولوجية وانتهاءً بعلم الجمال والنقد الأدبي، الذي درسها في إطار نظريات الخلق الأدبي، من منطلق أن العمل الأدبي ما هو إلا انعكاس لذلك الجانب الإنساني من الذات. ومنه فالعمل الأدبي يمنحنا فرصة للكشف عن مكامن هذه الذات و أسرارها وخصائصها. وفي إطار العمل الأدبي نجده هو الآخر يطرح قضايا من ضمنها البحث عن العلاقة بين الذات المبدعة وموضوعها سعيا وراء دراسة عملية تقوم على الكشف عن البعد التأثيري المتبادل بين الطرفين بغية الوصول إلى الفاعل الذي يحرك ذلك الأثر الأدبي الإبداعي.

وانطلاقا من ذلك يمكننا القول أيضا إن التجربة الشعرية النسوية تُعد من أخصب النماذج وأوفرها في الكشف عن العلاقة بين الذات والموضوع، على اعتبار أن المرأة الشاعرة سعت على مدار الأزمان لاستعادة تلك الهوّية الأنثوية المغيبة. وبالمقابل نجد أن هذا الهدف قد أدى إلى استحضار تساؤلات عديدة من ضمنها هل المرأة الشاعرة تكتب ذاتها في غياب الموضوع معلنة انفصالها عنه وتمردها عليه؟ أم أنها تكتب ذاتها انطلاقا من موضوعها في حركة تواصلية تفاعلية مستمرة؟

من جملة ما توصلنا إليه في هذه الدراسة، وإجابة عن هذه الإشكاليات المطروحة، فقد خلُصنا إلى أن العلاقة بين الذات والموضوع في التجربة النسوية الشعرية الجزائرية المعاصرة تقوم على حركة قوامها تجاذبات مستمرة تعمل ضمن آلية المفارقة التي أثبت فاعليتها في هذه التجربة، واستطعنا من خلالها التوصل إلى الحالات التي تكون فيها الذات الشاعرة في حالة من الاتصال والتصالح مع الموضوع، وبالمقابل الحالة التي تكون فيها الذات في اصطدام مع الموضوع معلنة انفصالها عنه.

وللوصول إلى ذلك الهدف آثرنا مقاربة تلك النماذج التي تجلت المفارقة أداتها ووسيلتها المركزية. ذلك أنّ المفارقة كانت الإطار العام الذي احتضن

تلك التجارب، وأسهم في بلورتها من أجل الكشف عن البنى الدلالية العميقة التي تختزنها.

كما وجدنا أن معظم الاختيارات التي استقطبت الذات الأنثوية الشاعرة هي اختيارات ذات طابع وجداني في أصلها كالحب والحزن اللذين أخذا الحيز الأكبر ضمن كتاباتها. حيث اصطبغ بخصائص التجربة الشعرية التي لم تخرج في إطارها العام عن وجود ذلك التضاد والتناقض الذي ميز حضورهما. ذلك التناقض الذي يقوم على ازدواجية في مواقف الذات مع موضوعها. ففي موضوع الحب مثلا توصلنا إلى أن الذات تؤمن بالحب كقيمة ضرورية؛ لكنها تنفصل عنه في إطار الممارسة. لكن في الإطار العام فإن موضوع "الحب" في التجربة الشعرية النسوية من خلال النماذج المدروسة كان حاضرا حضورا لافتا، وهو لا يعدم هذا الحضور حتى حينما لا يكون الموضوع الرئيس في النص.

إن الجدل بين الذات والموضوع في تلك النماذج تجلى في ثلاث صور رئيسة معبرة عن مواقف الذات إزاء موضوعها: موقف النقد المدين للزيف، موقف الخضوع والمتابعة، موقف التعالي والتجاوز، وهذا الموقف الأخير هو الأكثر نوعية وقدرة على فتح الآفاق لكونه يتأسس على رفض التنميط ومناقضته أو مغايرته على الأقل.

أن لغة الذات الأنثوية في تلك النماذج كانت لغة تعتمد الرمز، و تنأى عن النزعة الخطابية، والنقد الصريح والإنشائية الفضفاضة، والزخرفة البيانية العتيقة، وتنحو إلى البناء الدرامي للنص الذي يعكس تطور التجربة والمواقف ،ويكشف عن أبعادهما.

أن الإيقاع في النصوص كان متنوعا، فنعاين الأوزان الخليلية القديمة، القائمة على وحدة الوزن والروي و القافية، كما نعاين قصيدة التفعيلة، التي تتفاوت فيها الأسطر طولا وقصرا متناغمة مع الدفقات الشعورية، ومستجيبة لها، ومراعية في اختياراتها الإيقاعية (وزنا وقافية) طبيعة التجربة وخصوصيتها.

فهرس المصادر والمراجع:

الكتب:

1. القرآن الكريم برواية ورش.
2. ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(2005)، مادة (فَرَقَ)
3. أبو العلاء المعري، سقط الزند، دار بيروت، دار صادر، 1957.
4. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، مادة (فَرَقَ).
5. آمنة حامدي، تفاصيل وجدي، مقامات، ط1:(2011)، أدرار/الجزائر .
6. خالد سليمان، المفارقة والأدب في النظرية والتطبيق،دار الشروق ،ط:1:(1999).
7. رزيقة بوشلقية، التشكيل الفني في الشعر النسائي الجزائري المعاصر، ميم للنشر، ط:1(2015).
8. عبد الواسع الحميري، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط:1(1999)، لبنان.
9. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط:3، دار الفكر العربي.
10. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4(2004)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، مادة (فَرَقَ).
11. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت.
12. نوال اليتيم، ديوان" والنازفات عشقا"، مطبعة الرمال، الوادي/الجزائر، 2017.
13. هنية لالة رزيقة، ديوان تباريح النخل، مطبعة مزوار، الوادي/الجزائر، ط:1(2010).

المواقع الإلكترونية:

❖ينظر: صباح السويفان، دراسة: جدلية الذات والموضوع في شعر سعاد الصباح، الموقع الالكتروني:www.alraimedia.com.